المحاضرة السابعة: المنتوجات الصناعية

هدف المحاضرة 7-أن يتعرف الطالب على أهم المنتوجات الصناعية المختلفة في الجزائر خلال العهد العثماني؛ في المجال الغذائي، النسيجي، التطريز، الحلي والأحجار الكريمة، الأسلحة ...وغيرها

المنتوجات الصناعية :

لعله من المنصف ذكر العديد من المنتوجات الصناعية في الجزائر إبان العهد العثماني حسب المجالات التي وجدت فيها

و منها نذكر :

1/ المنتوجات في المجال الغذائي : تتوزع على أفران الخبز(الكوشات) و مطاحن الدقيق (الرحى) و عصر الزيتون

و تصبير الفواكه . و قد كانت مدينة الجزائر تضم العديد من المطاحن و الأفران ، و عادة ما كانت تتواجد في نواحي

المدينة (قريبة من السور) ،مثل أفران ابن عدارة ،أفران البطحة ، أفران الخندق والمضارة وعلي جاور و دار بلكباشي .

بالإضافة إلى مجمع أفران البايليك الذي كان يشتمل على حوالي 16 فرنا و بعض مطاحن الحبوب و مخازن الدقيق التي

كانت ملحقة بقصر الجنينة بوسط المدينة .

و مما يلاحظ أن أغلب المطاحن المائية و الهوائية الواقعة في المدن و المنتشرة حولها كانت في معظمها ملكا للدولة .

(ففي مدينة الجزائر حوالي 22 مطحنة مائية و 18 مطحنة هوائية) .

ويذكر الوزان المطاحن في الناحية الشرقية من المدينة (وادي الحراش اليوم) .

و فيما يخص صناعة تجفيف الفواكه و تحضير المعجون و تقطير الماء فقد اختصت بها بعض العائلات العريقة من

الأندلس و البلدية و التي كانت تقطن مدن قسنطينة ، تلمسان ، القليعة ، البليدة ، مليانة و الجزائر .

يذكر الدكتور تشاو ماء الورد المقطر الذي يعرفونه جيدا (نوع من الكيمياء) .

سكان مليانة اشتهروا بنوع من مربى اللوز و العنب يمكن الاحتفاظ به لمدة سنة و كان كثير الإقبال عليه لتميزه .

2/- المنتوجات في مجال النسيج :لقد تطورت المنتوجات النسيجية على أيدي المورسكيين الذين توارثوا الأساليب الفنية

لصنع الأقمشة و بعض الزرابي و الشاشية و القطيفة ... و ذلك في كل من ندرومة ، مازونة ، مستغانم و الجزائر ...

و قد امتازت أقمشة ندرومة (تلمسان) بجمال الألوان و دقة النسيج .

أما صناعة المخمل و الحرير فقد عرفت ازدهارا كبيرا في كل مدن الجزائر و شرشال ، و استعملت خيوط الحرير التي

كانت تنتج من شرانق دودة الحرير ، التي كانت تُربى في العديد من مناطق الساحل (شرشال و تنس مثلا) ، وبعد أن

تقلص الإنتاج المحلي أصبحت تستورد من أزمير، سالونيك و بيروت .

و فيما يخص الأنسجة الصوفية المعتمدة على الإنتاج المحلي من الصوف فكانت تصنع الأغطية و الجلابيب في كل من

قسنطينة ، تلمسان ، معسكر ...التي اشتهرت بهذا النوع من النسيج .

اشتهرت صناعة البرانيس في أغلب جهات الوطن لكن أشهرها برانيس الأطلس الصحراوي و زمورة و معسكر ، التي

كانت تُباع بثمن معقول (حوالي 100 فرنك للبرنوس الواحد) .

أما الزرابي فقد عُرفت في كل جهة بأسلوبها الخاص مثل زرابي الشلالة ، مستغانم ، الأطلس الصحراوي ، الحراكتة ،

النمامشة ، القرقور و قلعة بني راشد ...هذه الأخيرة التي كانت زرابيها تفوق جميع الزرابي الأخرى بتميزها و مظهرها

(رسوم جميلة) و صارت تصدر إلى المشرق العربي .

ولعل صبغ الملابس له علاقة بصناعة النسيج ، و اشتهرت به كل من بوسعادة ، دلس و البليدة ، حيث يتم صبغ الملابس

و البرانس الصوفية في أربعة مصانع معدة لهذا الغرض .

3/- منتوجات الشاشية و التطريز : كانت مدينة الجزائر في ق 10 هـ / 16م تضم حوالي 3000 عامل نسيج ، و هي

المركز الرئيسي للمنتوجات و على رأسها صناعة الشاشية و أعمال التطريز، و لعل العائلات الأندلسية كان لها الدور

الأساسي في هذا المجال وساهمت في ازدهاره مثل عائلة بوناطيرو، التي كانت تملك مشاغل الشاشية بنواحي باب الواد

و كانت تصدر إلى المشرق العربي و تركيا . و تعرضت هذه الصناعة إلى التراجع منتصف ق 12 هـ/ 18م بعد أن

ظهرت الشاشية التونسية في أسواق المدن الجزائرية .

أما عن التطريز فكان يتم بخيوط الذهب و الفضة (على ملابس القطيفة والحرير، وكذلك على الأدوات الجلدية كالأحزمة

و السروج و المحافظ الصغيرة " الدزدان"و الكبيرة" الجبيرة") . و لقد أتقنت الفتيات الأندلسيات بعض أعمال التطريز

مثل: البنيقة أو الصارمة " القردون و الكوفية " اللاتي توارثنها عن أمهاتهن في كل من مدن الجزائر، تلمسان و وهران.

4/- صناعة الحلي و الأحجار الكريمة : اختصت في هذا المجال بعض الأسر اليهودية و بعض الأندلسيين و الكراغلة

في كل من مدن الجزائر، تلمسان وقسنطينة ، وهذا نتيجة الفوائد و الأرباح الطائلة التي كانت توفرها (يهود تلمسان

ربحوا ما قيمته 30 إلى 50 بالمئة من قيمة الحلي المصنوعة).

و فيما يخص حلي و زينة نساء أهل الريف فهي حلي فضية و نحاسية و عاجية ، خاصة الأساور التي تصنع من قرون

الغنم و تباع في أسواق الأرياف .

5/- صناعة الجلود : أهمها صناعة الأحذية في كل من تلمسان ،قسنطينة ، مازونة ،مستغانم و قلعة بني راشد، بالإضافة

إلى صناعة السروج و الألجمة و المحافظ في تلمسان ،قسنطينة و الجزائر .

لقد كانت قسنطينة أهم مركز لصناعة الجلود في العهد العثماني (15 بالمئة من اليد العاملة بحوالي 150 عاملا في

المدابغ ، 210عامل في المشاغل ، 75 عاملا لصنع السروج ، 480 عاملا في الورشات التي بلغ عددها 167 محلا).

6/- الصناعات التحويلية : و تخص تحضير مواد البناء ، تذويب المعادن (الحديد ، الفضة و الزنك) ، صناعة العملة

(صك النقود) ، استخراج الملح .

تنتشر هذه الصناعات في المدن الكبرى و المناطق الجبلية مثل بلاد القبائل .

و مدينة الجزائر – كما ذكرتها المصادر – اشتهرت بتنوع منتوجاتها التحويلية إذ توفرت على عدد من أفران الجير

و الآجر و مقالع الحجارة المستعملة في بناء الحصون و الثكنات و الأسوار، بالإضافة إلى ورشات صنع الأقفال

وماصورات البنادق و الزناد .

كانت مدينة الجزائر تجير مرتين في السنة لذلك حملت صفة **" الجزائر البيضاء "** .

و في مدن أخرى وجدت صناعات و منتوجات مثل : استخراج ملح النترات بأرزيو و تلمسان ، صنع الأدوات الفخارية

و الزليج و الأواني الخزفية في كل من شرشال ، ميلة ، ندرومة و تلمسان و غيرها ....

بلاد القبائل كانت من أكثر المناطق التي تحوي صناعات تحويلية مثل :

- منتوجات الحلي الفضية في بني يني و بني عباس .
- منتوجات الأسلحة النارية في بني عباس .
- منتوجات الأدوات الخشبية في بني منقلات .
- منتوجات الأقمشة القطنية في بني يحي .
- معالجة الحديد في بني بوهالي .
- بعض العملات المزورة في آيت الأربعاء و علي أوخروبة .

و هذه الأخيرة أثارت سخط الحكام ، فكانت محل مراقبة و معاقبة خصوصا في الأسواق .

7/- صناعة الأسلحة : و تشمل تحضير البارود ، سبك المدافع و صنع البنادق .....

اشتهرت في قلعة بني راشد ، قسنطينة ، تلمسان ومدينة الجزائر،هذه الأخيرة احتوت مصنعين أحدهما لتحضير البارود

و يقع خارج باب الواد من الجهة الغربية ، أنشأه أحد الدانويين ، يعمل به حوالي 20 عاملا ، و ثانيهما لتشكيل القنابل

وصنع المدافع ، مُقام أيضا بناحية باب الواد خارج المدينة ، وقد كان معروفا بدار النحاس ، حيث يصهر فيه النحاس

و الحديد ، و أشرف عليه أوروبيون من أمثال الفرنسي دوبون (1775م) .

و تذكر المصادر أن هذا المصنع توقف سنة 1808 م .

كما وجدت ورشات كثيرة كانت تصنع بها البنادق بمناطق ميزاب ، الزيبان ، الحضنة ، القرقور ، بلاد القبائل .....

و هناك أيضا البنادق الجيدة المرصعة بالفضة و المرجان في كل من قلعة بني عباس و قرى فليتة ، تقرت ، بوسعادة.

وفيما يخص تحضير البارود فكان في جرجرة خصوصا قبيلة الربولة وبعض قبائل المناطق الصحراوية التي كانت

تعده من ملح البارود الموجود في منجم لقساين بنواحي بسكرة .

8/- صناعة السفن : لقد شجعت العمليات البحرية والغنائم و الإتوات على هذا النشاط ، وتوفرت أغلب الموانئ على سفن مجهزة و من أهمها ميناء الجزائر ، شرشال ، جيجل و عنابة ... حيث كانت تصنع سفنا بحمولة 300 طن ، وهي نوع من الفرقاطات المجهزة بحوالي 30 مدفعا .

و لا ننسى أن نذكر في هذا المجال انجازات الفلامندي سيمون دانسا و الفرنسي جوافري الذي وظفته حكومة الثورة

الفرنسية سنة1798 م في خدمة الداي بابا حسن ، و المهندس الاسباني مايسترو أ نتونيو الذي أوكل له التصرف في

الترسانة الجزائرية البحرية سنة 1800 م ، و كذلك المهندس المرسيلي غازال .

و لعل الملاحظة الواجب ذكرها في هذا المجال هي عجز الأتراك عن صنع السفن الكبيرة ، و الاعتماد على خبرة

الأجانب مما أثر سلبا فيما بعد على الأسطول الذي كان يحوي سفنا صغيرة فقط .(في رحلة عبد الرحمن بن إدريس

التنلاني التواتي إلى الجزائر عام 1816 م يذكر حجم الأسطول بعد حملة اللورد اكسماوث) .- كانت أخشابها محلية-

و كانت تشحن من ميناء بجاية إلى الجزائر .

9/- صناعة الصابون : اشتهر في قلعة بني راشد و بوسعادة حسبما ذكرته مصادر الاحتلال .

إن ببوسعادة 40 صانعا للصابون (سنة 1830 م) .

كما وجدت هذه الصناعة في نواحي تلمسان و منطقة القبائل ، و اختص سكان جرجرة بصنع نوع من الصابون الأسود

و الذي كان يحضر من بقايا الزيتون و كذلك رماد شجرة الدفلة .